# الافتتاحية

## الهويّة المعرفيّة للعرفان في سياق البيئة المعرفيّة الإسلاميّة

الشيخ حسن الهادي[1]



الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمدﷺ وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع أنبياء الله والمرسلين، وبعد...

لا نجافي الحقيقة عندما نتوصّل من خلال التحقيق والبحث في حركة هداية البشريّة على يد أنبياء الله ورسله -منذ النبي آدمعليه السلام؛ مرورًا بكلّ الأنبياء والرسل والأولياء؛ وانتهاءً بنبي الإسلام محمّدﷺ- إلى أنّ الغاية من حركة الهداية التي نهض بها أنبياء الله وأوليائهعليهم السلام ليست هي خصوص إقامة القسط والعدل في المجتمع فقط، أو بناء دعائم العدل ومجابهة الظلم والظالمين، ولا تبيان الحقوق والواجبات، فذلك كلّه في الحقيقة ظاهر يُراد به بلوغ باطن، ومقدّمات لتحقيق نتيجة واحدة هي الغاية الأساس، والمطلب الأسمى، وهو القرب من الله -تعالى- والفناء في ذاته تبارك وتعالى[2].

(1) رئيس التحرير، الشيخ حسن أحمد الهادي.

(2) انظر: اليزدي، محمد تقي مصباح: العرفان الإسلاميّ، ط1، ترجمة: مؤسّسة الإمام الخمينيّ للتعليم والبحث، 2015م، ص32. (بتصرّف)

وفي هذا السياق يأتي علم العرفان علمًا هادفًا إلى تفسير الوجود من خلال تقديم رؤية كونيّة نظريّة صحيحة مطابقة للواقع حول الله والعالم والإنسان، وهو ما يصطلح عليه بعلم العرفان النظريّ. ففي هذا القسم يبحث العارف في علاقات الإنسان مع الله، ومع نفسه، ومع العالم، وعمدة نظره تتّجه نحو علاقة الإنسان بالله. وأمّا تقديم برنامج عمليّ تطبيقيّ لكيفيّة سير الإنسان المعنويّ للوصول إلى الله سبحانه وتعالى، فهو ما يسمّى عند العرفاء بالعرفان العمليّ أو بالسير والسلوك العرفانيّ.

وعليه، فإنّ الهدف الأساس لعلم العرفان الإسلاميّ، هو الوصول إلى الله تعالى، والفناء فيه؛ أي الوصول إلى حيث لا يرى الإنسان إلا الله تعالى، ولا يبصر إلا وجهه جلّ وعلا. ويعتقد العرفاء أنّ من يصل إلى هذا المقام؛ بحيث لا يرى إلا الله تعالى، فقد وصل إلى مقام كان فيه غافلًا عن كلّ ما سوى الله؛ باعتبار أنّ الحقّ -تعالى- هو حقيقة الحقائق التي ليس وراءها حقيقة.

## أولًا: تعريف علم العرفان:

العرفان في اللغة مشتقّ من «عَرَفَ»، وهو يعني المعرفة. يقول ابن منظور: «عرف: العرفان... عَرَفَه، يُعرّفُهُ، عَرَفَه عِرْفَة وعرفانًا وعِرفانًا ومعرفة. ورجل عروف: عارف، يعرف الأمور، ولا ينكر أحدًا رآه مرة. والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم... والجمع عرفاء...»[1].

والعرفان في الاصطلاح هو: المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبيّة، لا بواسطة العقل ولا التجربة الحسّيّة. وهذا اللون من المعرفة يحصل في ظلّ العمل المخلص بأحكام الدين، وهو الثمرة الرفيعة والنهائيّة للدين الحقيقيّ[2].

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، قم المقدّسة، نشر أدب الحوزة، 1405، مادة «عرف»،ج 9، ص231.

(2) انظر: اليزدي، محمد تقي مصباح: محاضرات في الإيديولوجيّة المقارنة، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط1، قم المقدّسة، دار الحقّ، ص20-21.

ويعرّفه القيصري بأنّه: «العلم بالله سبحانه، من حيث أسماؤه، وصفاته، ومظاهره، وأحوال المبدأ والمعاد، والعلم بحقائق العالم وبكيفيّة رجوعها إلى حقيقة واحدة؛ هي الذات الأحديّة، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة؛ لتخليص النفس عن مضايق القيود الجزئية، واتّصالها إلى مبدئها، واتّصافها بنعت الإطلاق والكلّيّة»[1].

ويظهر من التعريف المتقدّم أنّ العرفان يقسم إلى قسمين: العرفان النظريّ، والعرفان العمليّ. أمّا العرفان النظريّ، فهو العلم بالله -تعالى- وأسمائه وصفاته وتجلّياته. ويُراد منه إعطاء رؤية كونيّة عن المحاور الأساس في عالم الوجود؛ وهي: «الله»، و«الإنسان»، و«العالَم». وأمّا العرفان العمليّ فهو العلم بطريق السير والسلوك، فمن أين يبدأ، وإلى أين ينتهي، وما هي المنازل والمقامات التي يجب أن يسلكها العارف للوصول إلى الله تعالى، وكيفيّة مجاهدة النفس للتغلّب على ميولها وتحريرها من علائقها، حتّى تستطيع طيّ المراحل والجدّ في سيرها إلى الله تعالى[2].

والقسم الأوّل من العرفان، يشبه علم الفلسفة؛ لجهة محاولته تقديم تفسير للوجود، من خلال تقديم رؤية كونيّة عرفانية يكون لله فيها الأصالة الأساسيّة والوحيدة، وكلّ ما سوى الله ما هو إلا مظهر وتجلٍّ لتلك الحقيقة الواحدة. وإذا كان الفيلسوف يحاول تقديم رؤية ترتكز على محوريّة الله بواجبيّة الوجود، وتكوين صورة جامعة عن الله وعلاقته بالكون، باستخدام الدليل والبرهان؛ فإنّ العارف في محاولته تقديم رؤيته الكونيّة هذه، لا يهتمّ بالعقل والفهم، بل يقدّم رؤيته من خلال الشهود ليصل إلى كنه الوجود وحقيقته[3].





(1) القيصري، شرف الدين محمود: رسائل القيصري، رسالة التوحيد والنبوّة والولاية، ص7. (نقلًا عن: حسيني، قوام الدين: العرفان الإسلاميّ (بالفارسية)، ط1، قم المقدّسة، مركز الدراسات الإسلاميّة؛ مطبعة سبهر، ص19).

(2) انظر: رحيميان، سعيد: مبادئ العرفان النظريّ، ط4، طهران، مؤسّسة سمت، 1388هـ.ش، ص8.

(3) انظر: مطهّري، مرتضى: العرفان، ط1، بيروت، دار المحجّة البيضاء، 1992م، ص22.
يشار -هنا- إلى نظريّة العرفاء في الوجود؛ حيث يعتقدون بأنّ الوجود هو الحقّ -تعالى-؛ من باب أنّ الوجود لا يمكن أن يُحمل بالحقيقة إلّا على موجود واحد؛ هو الحقّ تعالى؛ أي علّة العلل، حيث إنّ كلّ ما سواه يحتاج في الوجود إليه تعالى.

وأمّا القسم الثاني من العرفان؛ أي العرفان العمليّ، فهو يبيّن العلاقات والواجبات المفروضة على الإنسان، مع الله، ومع نفسه، ومع العالم. فيتّضح فيه للسالك، من أين يجب أن يبدأ، وإلى أين يجب أن ينتهي، وكيف يسلك ليصل إلى تلك الحقيقة الواحدة، ويتطلّب الأمر توضيح المقامات والمنازل التي يجب قطعها للوصول[1].

ويتّضح من خلال كلمات العرفاء أنّ المنهج والطريق الوحيد الموصل إلى الحقائق هو الكشف والشهود. والمقصود من الكشف والشهود[2] مشاهدة الحقائق الغيبيّة الواقعة وراء عالم الشهادة. وأمّا السبيل إلى ذلك، فقد أشار العرفاء إلى أمور؛ من أبرزها: تربية النفس وتهذيبها، والمواظبة على العبادات وكلّ ما يؤدّي إلى القرب من الله تعالى، وخلوص النفس له.

## ثانيًا: الفرق بين التصوّف والعرفان:

التصوّف حركة ظهرت في العالم الإسلاميّ منذ القرن الثاني الهجريّ. والتصوّف في اللغة مصدر على وزن تفعّل، فهو مصدر اشتقّ من اسم، ويعني لبس الصوف؛ مثل: تقمّص؛ فهي تعني لبس القميص[3]. وتطلق في بعض معانيها على الميل: «يقال» صاف السهم عن الهدف؛ بمعنى مال عنه...»[4]. ويطلق التصوّف ويراد به النسبة إلى الصوف؛ لأنّ بعض الزهّاد اختاروا هذا اللباس للدلالة على الزهد، وقد يراد النسبة إلى «الصُفّة» أو إلى الصفاء.

(1) انظر: مطهّري، العرفان، م.س، ص14.

(2) وقد أطلق العرفاء على العلم الحاصل من الكشف والشهود؛ العلم الإلهيّ، وبيّنوا أنّ الطريق لذلك يجب أن يحصل في إطار التفرّغ للعبادة. يقول العارف السيّد حيدر الآملي: «وأمّا كيفيّة تحصيل العلوم الحقيقية فهو في غاية السهولة؛ لأنّها موقوفة على فراغ القلب وصفاء الباطن، وهذا يمكن بساعة واحدة، وبيوم واحد، وبليلة واحدة...».

(3) انظر: مجموعة من المؤلّفين: مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان والحقيقة المحمّديّة، بيروت، دارالهادي، 2001م، ص4.

(4) ابن منظور، لسان العرب، م.س، ج11، مادة «صوف»، ص102-103.

جاء في كتاب «كشّاف اصطلاحات الفنون» ما نصّه: «في اللغة، التصوّف يعني ارتداء الصوف؛ وهذا نتيجة الزهد وترك الدنيا، وفي نظر أهل العرفان تطهير القلب من محبّة ما سوى الخالق، وتقويم الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالتكليف أو المأمور به، والابتعاد عن المنهي عنه، والالتزام بما قاله رسول الله ﷺ، فهؤلاء جماعة من المتصوّفة المحقّة»[1].

وقد عرّفوا التصوّف بتعاريف عدّة؛ من جملتها: ما ذكر أبو الحسن النوريّ: «التصوّف هو الابتعاد وترك العلائق النفسيّة، فالمتصوّفة هم الذين أطلقوا أنفسهم من كدر البشريّة، وتخلّصوا من الآفات النفسيّة وهواها؛ وذلك من أجل أن يكونوا في مقدّمة الصفّ...»[2].

وأمّا ابن خلدون، فيحدّد التصوّف بشكل أدقّ، ويقول: «هو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه...»[3]. وهناك العديد من العبارات الأخرى التي ذكرها الصوفيّة في تعريف التصوّف والصوفيّ[4].

وقد ظهر العرفان الإسلاميّ في بدايته على شكل حركة صوفيّة[5]، كان المراد منها تربية النفس وتهذيبها عمليًّا، وإبعادها عن كلّ ما له علاقة بالدنيا وزخارفها، ثمّ تحوّلت هذه الحركة الصوفيّة واتّسعت حتّى أصبحت حركة أكثر تكاملًا، تمتلك نظريّة خاصّة ورؤية محدّدة عن الله والإنسان والوجود.

وبناءً على ذلك، فإنّ الاختلاف بين التصوّف والعرفان يعود إلى أمرين: أنّ للعرفان والتصوّف معنى واحدًا من حيث الاصطلاح، وما يميّزهما هو

(1) التهانوي، محمد علي: كشّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: محمّد وجيه عبد الغني؛ غلام قادر، طبعةالهند، انتشارات خيام، 1346هـ.ش،ج1، ص841.

(2) مجموعة من المؤلّفين: مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان والحقيقة المحمّديّة، م.س، ص8-9.

(3) ابن خلدون، عبدالرحمان: المقدّمة، تحقيق: علي عبد الواحد، ط1، القاهرة، لجنة البيان العربيّ، 1379هـ.ق/ 1960م، ص157.

(4) لمزيد من الاطّلاع، انظر: مجموعة من المؤلّفين: مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان والحقيقة المحمّديّة، م.س، المقال الأوّل.

(5) انظر: حسيني، العرفان الإسلاميّ (بالفارسية)، م.س، ص21-22.

اختلاف بسيط. فقد درس الباحثون الإسلاميّون العرفان في بُعْدين: الأوّل باعتباره حركة ثقافيّة معرفيّة، والثاني باعتباره حركة اجتماعيّة وُجِدت في العالم الإسلامي بعد نزول الوحي. وإذا كان العرفان يدخل على كلا البعدين، فإنّ التصوّف يدلّ على البعد الاجتماعيّ للعرفان. وهذا يعني أنّ الحركة الصوفيّة هي حركة اجتماعيّة وُجِدت في المجتمع الإسلاميّ، كانت تدعو للعمل بالتعاليم الدينيّة فيما له علاقة بالزهد والابتعاد عن الدنيا[1].

أنّ العرفان أعلى من التصوّف؛ لأنّ التصوّف أسلوب وطريقة نابعة من العرفان. وهذا يعني أنّ النسبة بينهما نسبة العموم والخصوص المطلق. فكلّ عارف متصوّف، وليس من الضروريّ أن يكون كلّ متصوّف عارفًا.

## ثالثًا: الفرق بين الأخلاق والعرفان:

تقدّم أنّ العرفان العمليّ هو علم يوضّح كيفيّة السير والسلوك للوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهو بهذا الأسلوب يبيّن ما ينبغي على السالك أن يفعله وما لا ينبغي. وعلى هذا الأساس، فالعرفان العمليّ لا يختلف كثيرًا عن علم الأخلاق الذي يبيّن كيفيّة اكتساب الفضائل والابتعاد عن الرذائل. ومع ذلك يمكن الإشارة إلى بعض العناوين التي تشكّل فوارقًا أساسيّة بين العرفان؛ بشقّيه النظريّ والعمليّ، وبين الأخلاق.

الفارق بين الاثنين هو ما عبّر عنه الشهيد الأستاذ مرتضى مطهّري قدس سره، عندما أشار إلى أنّ العرفان علم مَرِن؛ بينما الأخلاق علم جامد ثابت. والمقصود من ذلك أنّ العرفان العمليّ يبيّن عمليّة السير والسلوك عند العارف، حيث يجب تحديد نقطة البداية والمقصد والمنازل التي يجب أن يطويها العارف للوصول. وهذه المنازل لا يمكن أن تُطوى إلا بالتدريج، ومنزلًا بعد منزل. وأمّا الحديث في الأخلاق، فليس عن منازل تتحقّق بالتدريج؛ واحدة بعد أخرى، بل عن سلسلة من الفضائل؛ من قبيل:

(1) انظر: مطهّري، العرفان، م.س، ص11-12.

الصدق، والعدل، والعفّة، والإحسان، والإنصاف، والإيثار... من دون وجود أيّ تراتبيّة في الموضوع.

كما أنّ العناصر الأخلاقيّة محدودة بمعانٍ ومفاهيم معروفة في الغالب، وأمّا العناصر العرفانيّة فواسعة جدًّا وعميقة. فعلى سبيل المثال، قد نقول: إنّ الشخص الفلاني صادق، فهذا معنى واضح ومعروف، ويدلّ على حالة خاصّة عنده، وأمّا عندما نقول: إنّ العارف تحصل له المقامات والأحوال الفلانيّة؛ كالرضا -على سبيل المثال-، فهذا ليس أمرًا واضحًا محدّدًا، ولا محصورًا بمفاهيم لفظيّة وغير لفظيّة.

ما تقدّم هو عبارة عن الفارق بين العرفان العمليّ والأخلاق. وأمّا ما يميّز العرفان النظريّ عن الأخلاق، فهو أنّ العرفان النظريّ مذهب فكريّ، يُعنى بتفسير الوجود، ومعرفة الله والعالم والإنسان، فالعرفان النظريّ من هذه الجهة كالفلسفة، وهذا يخالف علم الأخلاق[1].

## رابعًا: خصائص العرفان الإسلاميّ:

يمتاز العرفان الإسلاميّ بمجموعة من الخصائص عن غيره من الحركات «العرفانيّة» التي وُجِدت على امتداد الأديان والمذاهب البشريّة، ونشير هنا إلى أبرز هذه الخصائص:

1. **محوريّة الله تعالى:** يتمحور العرفان الإسلاميّ حول الله تعالى، فالعرفان بكلا قسميه مرفوض وغير صحيح إذا حذفنا منه الله تعالى. ومحوريّة الله -تعالى- تتضمّن الإيمان به تعالى، وفهم كافّة الوجود في إطار وجوده، ومن ثمّ العمل والحركة أو السير والسلوك نحوه.
2. **الولاية:** يعتبر السالك إلى الله في العرفان الإسلامي من أصحاب الولاية، وهذا يعني معرفة الإنسان الكامل والمعصوم وحبّه والالتزام العمليّ بسيرة أولياء الله تعالى.

(1) انظر: مطهّري، العرفان، م.س، ص15-17.

3. **العمل بالشريعة:** يمتاز العرفان الإسلاميّ بأنّه يتحرّك طبقًا للشريعة؛ أي طبقًا للأحكام الفقهيّة الإسلاميّة. والشريعة تشكّل المحور الأساس الذي يستقي منه العرفاء مادّة سيرهم وسلوكهم، وبها يعرفون مدى الإصابة والخطأ فيهما. فالعرفان من دون الشريعة ضلال. ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا وأنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة؛ فمن أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم**»[1].

4. **العقلانيّة:** العرفان الإسلاميّ ليس بعيدًا عن العقل والعقلانيّة. فالعارف لا ينكر دور العقل، بل يضع المعرفة الشهوديّة والسلوكيّة في طول المعرفة العقليّة. وبعبارة أدقّ: يستعين العارف بالعقل عندما يفرغ من عمليّة السير والسلوك، وينتقل إلى مرحلة إثبات الحقائق والكشفيّات للآخرين؛ إذ إنّ إقناع الآخرين يحتاج إلى وسيلة مقبولة، وهي من دون شكّ العقل. طبعًا للعرفان خصائص أخرى، نكتفي بما ذكرناه منها رعاية للاختصار.

## خامسًا: مصادر العرفان الإسلاميّ:

**يتحدّث الشهيد مرتضى مطهّري عن نظريّات ثلاث في هذا الإطار**[2]**:**

1. **النظريّة الأولى** التي ينسبها الشهيد مطهّري إلى العرفاء، وهي تبيّن أنّ العرفان قد استمدّ كافّة موادّه الأساسيّة من دين الإسلام؛ على أساس أنّ الفكر العرفانيّ يقوم على عقيدة التوحيد، وهي عقيدة قد اقتبس العرفاء كافّة تفصيلاتها ممّا ذُكِرَ في دين الإسلام. هذا في خصوص العرفان النظريّ. وأمّا في العرفان العمليّ، فيتحدّث العرفاء عن أنّهم استعانوا بالنصوص القرآنيّة وسيرة المعصومين عليهم السلام وكلماتهم؛ لتحديد

(1) العلوي، محمد (الشريف الرضي): نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح: محمد عبده، ط1، قم المقدّسة، دار الذخائر؛ مطبعة النهضة، 1412هـ.ق/ 1370هـ.ش، ج1، الخطبة120، ص233.

(2) انظر: مطهّري، العرفان، م.س، ص34-45.

إطار السير والسلوك، وما المفاهيم التي استعملها العرفاء في عمليّة السير والسلوك إلا استجابة لما ورد في النصّ الدينيّ.

2. **النظريّة الثانية** المنسوبة إلى المستشرقين، وهي تبيّن أنّ العرفان الإسلاميّ دخل إلى العالم الإسلاميّ من خارجه، وأوضحوا أنّ جذور العرفان تعود إمّا إلى المسيحيّة من خلال الارتباط بين المسلمين والرهبان المسيحيّين، وإمّا أنّها تعود إلى تيّارات إيرانيّة، وإمّا أنّها تعود إلى تطوّر الفلسفة الأفلاطونيّة الجديدة والتي هي تركيب من أفكار أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس. وقد أوضح المستشرق ماسينيون الآراء في مصادر التصوّف، فاعتبره دخيلًا على الإسلام، مُسْتمدًّا إمّا من رهبانية الشام، وإمّا من أفلاطونيّة اليونان الجديدة، وإمّا من زرادشتيّة الفرس، أو قيد الهنود[1].

3. **تشير النظريّة الثالثة** إلى أنّ العرفان قد استوحى أصوله الأولى من الإسلام، وقد وضع العرفاء أصول وقواعد وضوابط لهذه الحالة، ومع ذلك استفادوا من التطوّرات والتحوّلات الخارجيّة. وهذا يعني أنّ العرفان يعود إلى الإسلام من حيث الأصول والمبادئ، وإنْ كان العرفاء قد استعانوا بالتجارب العرفانيّة للشعوب الأخرى ما دامت لا تتعارض مع الأصول.

ثمّ إنّ الشهيد مطهّري، وبعد عرضه للرأيين الأولين بيّن أنّ المسلَّم به أنّ العرفان قد استمدّ موادّه الأولى من الإسلام، وذكر نماذج على ذلك[2].

وفيما يلي نركّز البحث على أبرز المصادر الإسلاميّة للعرفان:

- **القرآن الكريم:** يوضّح العرفاء أنّ العديد من آيات القرآن الكريم تدعو إلى الابتعاد عن الدنيا والعمل للآخرة، وهذا ما يجعل النفوس نقيّة بعيدة عن الآثام والمعاصي. يُضاف إلى ذلك أنّ القرآن الكريم

(1) انظر: كيلاني، قمر: في التصوّف الإسلاميّ، بيروت، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، 1962م، ص15.
(2) انظر: مطهّري، العرفان، م.س، ص34-45.

يصوّر وبشكل واضح الأفكار والعقائد والسلوكيّات التي يؤمن ويعمل بها العرفاء. فيتحدّث القرآن الكريم عن الله -تعالى- خالقًا للعالم، موجودًا في كلّ مكان: ﴿أَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[1]، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾[2]. وعن تزكية النفس: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3]، ويحثّ على الزهد والتوكّل والتوبة والصبر: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾[4]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[5]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[6]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[7].

ويرى الإمام الخميني قدس سره القرآن الكريم كتاب معرفة الله ومعرفة طريق السير والسلوك[8]. ويذهب إلى أنّ العرفان ومسائله من معجزات القرآن الكريم، حيث يقول: «**إنّ من أعظم وأسمى معاجزه هي هذه المسائل العرفانيّة العظيمة التي لم تكن معروفة لدى فلاسفة اليونان**»[9].

ولذلك لا بدّ من التعرّف إلى القرآن الكريم لاستلهام تلك المعارف والحقائق الغائبة عنّا. وهذا ما يوصي به الإمام قدس سره ابنه قائلًا: «بني، تعرّف إلى القرآن ، كتاب المعرفة العظيم، ولو بمجرّد قراءته، واجعل منه طريقًا إلى المحبوب، ولا تتوهّمنّ أنّ القراءة من غير معرفة لا أثر لها، فهذه وساوس الشيطان، فهذا الكتاب كتاب من المحبوب إليك وإلى الجميع...، واعلم أنّنا لو أنفقنا أعمارنا بتمامها في سجدة شكر واحدة على أنّ القرآن كتابنا لما وفّينا هذه النعمة حقّها من الشكر»[10].



(1) سورة البقرة، الآية 115.
(2) سورة الواقعة، الآية 85.
(3) سورة الشمس، الآيتان 9-10.
(4) سورة الحديد، الآية 20.
(5) سورة فاطر، الآية 5.
(6) سورة آل عمران، الآية 200.
(7) سورة التحريم، الآية 8.
(8) انظر: رزق، خليل: العرفان الشيعي، ص 396 ـ 397، نقلاً عن المظاهر العرفانية للإمام الخميني قدس سره.
(9) م.ن. (نقلًا عن: المظاهر العرفانيّة، ص14).
(10) م.ن.

- **الحديث الشريف:** يعدّ الحديث منبعًا أساسًا وكبيرًا للعرفاء، فقد اعتمد العرفاء، في أكثر نظريّاتهم ومفاهيمهم ومصطلحاتهم التي استخدموها، على الحديث، ولا فرق في ذلك بين الأحاديث القدسيّة والأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام. ولعلّ من أبرز الأحاديث القدسيّة التي تمسّك بها العرفاء، الحديث الآتي: «**كنت كنزًا مخفيًّا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق كي أعرف...**»[1]. وقد أراد العرفاء من خلال هذا الحديث تصوير حقيقة العلاقة بين الله والكون بكلّ ما فيه؛ إذ بناءً عليه يمكن استخراج أهمّ نظريّات العرفاء؛ أي الوحدة الشخصيّة للوجود، وأنّ الكون بما فيه ما هو إلا مظهر وتجلٍّ للوجود الواحد.

وفي مجال الفناء في الله -تعالى- يتمسّك العرفاء بالحديث الشريف: «**لا يزال العبد يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها؛ فبي يسمع وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يعقل، وبي يبطش، وبي يمشي...**»[2].

وأمّا الأحاديث المنقولة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام فكثيرة؛ لعلّ من أبرزها قصّة الحوار بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشاب في المسجد، وقد سأله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**كيف أصبحت يا فلان؟** قال: أصبحت يا رسول الله مُوقِنًا. فتعجّب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قوله، وقال: **إنّ لكلّ يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟** فسرد عليه الشاب حقيقة يقينه. عند ذلك خاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه: **هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان**»[3].

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله -سبحانه وتعالى- جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد**

(1) ابن عربي، محي الدين: الفتوحات المكّيّة، دار إحياء التراث العربي، ج2، ص112.
(2) ابن عربي، محي الدين: تفسير ابن عربي، تصحيح وضبط: عبد الوارث محمد علي، ط1، دار الكتب العلميّة، 2001م، ج1، ص35.
(3) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط5، طهران، دارالكتب الإسلاميّة، ج2، ص53.

**به بعد المعاندة، وما برح لله عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذوات عقولهم...»**[1].

- **الشريعة:** يعتقد العرفاء أنّ الغاية التي أُرسل الأنبياء عليهم السلام لأجلها، هي إيصال الخلق إلى كمالهم المحدّد لهم والمتناسب مع استعدادهم وقابليّاتهم، ونقلهم من ظلمات الجهل إلى نور الكمال والعلم. وأمّا هذه الغاية فلا تتحقّق إلا إذا تمكّن الإنسان من تكميل قوّتي العلم والعمل. فالإنسان يجب أن يمتلك العزيمة للعمل بما جاء الأنبياء عليهم السلام لأجله، حيث يصل إلى الكمال بواسطة ذلك دون سواه. وهذا يعني أنّ الإنسان إذا عزم على المسير في طريق الشرع أمكنه الوصول إلى حيث الكمال.

ويبيّن العرفاء أنّ طريق الشرع هو أقرب الطرق لتكميل قوّتي العلم والعمل، والالتزام بضوابطه كفيل بإيصاله إلى ذلك[2].

يقول السيد حيدر الآملي في حقيقة الشرع وضرورة العمل به: «إنّ الله كامل حكيم، والأنبياء والرسل -كما سبق- أطبّاء النفوس... وقوانينهم في الشرائع؛ كالمعالجين لمرض الناس... فلو عرفوا هناك دواءً لدائهم أنفع وأنسب من هذا لأمروا به، وأظهروه للناس ليستعملوه في إزاله أمراضهم؛ لأنّ ذلك واجب عليهم من باب اللطف... فعرفنا أنّ هذا الدواء المعبَّر عنه بالفروع كافٍ في إزالة مرض الجهل والكفر والشكّ والنفاق»[3].

والحمد لله ربّ العالمين



(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج2، الخطبة222، ص211.
(2) انظر: حمية، خنجر: العرفان الشيعي، ص587.
(3) الآملي، حيدر: أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة، تحقيق: محمد خواجوي، ط1، طهران، مؤسّسة الدراسات والتحقيقات الثقافيّة، 1362هـ.ش، ص175.